دلالات بناء (فعل) وبناء (يفعل) في النظم

د. سناء حميد البياتي
جامعة بغداد–مركز إحياء التراث العلمي العربي

(فعل) و(يفعل) من أبنية الأفعال في العربية ، والفعل ركن مهم في بناء الجملة لأنه المسند وهو مركز التعليق في الجملة الفعلية ، وقد حظي الفعل باهتمام النحاة القدامى[١] غير أن دراسة الفعل عند بعض النحاة كانت متجهة نحو العمل والعامل والمعمول ، فالفعل عامل قوي له خصائص معينة في العمل أما عن دلالات الفعل فقد اقتصروا على دلالتين فقط في تعريفهم له وهما : دلالة الحدث ودلالة الزمن، فالفعل هو ما دل على حدث مقترن بزمن وأطلقوا على بناء (فعل) تسمية (الفعل الماضي) وما الزمن الماضي في الواقع سوى دلالة واحدة من بين دلالات متعددة يقدمها هذا البناء في النظم ، وأطلقوا على بناء (يفعل) تسمية (الفعل المضارع) وهذه التسمية لا علاقة لها بأية دلالة من دلالات بناء (يفعل) وإنما سمي مضارعا لمضارعته الأسماء أي لمشابهته لها في الإعراب .

"وعلى هذا جرت الكتب المدرسية الحديثة في تعريف الفعل"[٢] ويبدو أن السبب في تحديد الفعل عند التعريف بدلالتي (الحدث والزمن) فقط هو أن النحاة درسوا الفعل منفردا أي خارج النظم أو خارج السياق الذي يكون فيه ، ولا تظهر للفعل غير هاتين الدلالتين (الحدث واتجاه زمني واحد) خارج النظم ، ولكن عندما نلاحظ الفعل داخل النظم أو داخل السياق الذي ورد فيه تظهر لنا دلالات أخرى مهمة واتجاهات زمنية كثيرة سأذكرها فيما يأتي مع الاستشهاد بآيات من القران الكريم لتوضيح الدلالات التي يقدمها البناء في النظم .

---

(١) ينظر : الكتاب ج١ :١٢ ، المقتضب ج٤ :ص ٨٠ المفصل في علم العربية : ٢٤٣ ، شرح المفصل ج٧ : ص٤ ، ٦٢٣. شرح الرضي على الكافية ج٤ ص٥ .

(٢) الفعل زمانه وأبنيته : ص١٧ .

بـناء (فَعَل)

ويحمل هذا البناء (في النظم) الدلالات الآتية:

اولاً- الدلالـة على الحدث .

ثانياً – الدلالة على الحدوث .

ثالثاً- الدلالة على اتجاه زمني(يحدده النظم) .

رابعاً – الدلالة على تأكيد الحدث والقطع بحدوثه .

خامساً – الدلالة على فاعل الحدث .

وسأوضح كل دلالة من الدلالات السابقة فيما يأتـي:

أولاً - الدلالة على الحدث:

وهي دلالة لازمة للفعل، أياً كان بناؤه، وبناء(فَعَل) أحد أبنية الأفعال فالدلالة على الحدث تكمن في صلبه لا محال، ولكنها ليست الدلالة التي تميزه عن الاسم، لأن المصدر يدل على الحدث أيضاً وهو اسم، أما ما يميز دلالة الحدث في الفعل فهو اقترانه بالحدوث وهي الدلالة الثانية.

ثانياً- الدلالة على الحدوث:

وهي دلالـة لازمـة الاقتران بالحدث في الأبنيـة الفعليـة، فـلا يمكن أن يكـون البنـاء بنـاءً فعلياً إلا إذا دلّ على (الحدث والحدوث)، فهما محور البنـاء الفعلي ومرتكزه، ودلالـة (الحدوث) هذه دلالة مهمة جداً، وهي روح البنـاء الفعلي، ويتوقف إدراكها على الإحساس بها فقط، ولايمكن تحديدها كما لا يمكن تحديد الروح في الإنسان وتبلغ أهميتها أن أية زيـادة علـى معنى(الحـدوث) تـؤدي إلـى زيـادة فـي البنـاء نفسـه، فزيـادة معنـى التكريـر فـي حدوث الحدث يُعبّر عنه ببنـاء (فعَّل) بدلاً من (فَعَل)، وزيادة معنى المشاركة في حدوث الحدث يُعبّر عنه ببناء (تفاعل) بدلاً من (فَعَل)، وزيادة معنى المطاوعة في حدوث الحدث يُعبـــــــــر عنـــــــــه ببنـــــــــاء (انفعـــــــــل) بـــــــــدلاً من (فَعَل)، وقد عُنيت كتب الصرف بذكر المعاني المضافة، ولكن علماء الصرف ظنوا أن زيادة المعنى تمس الحدث، وهي في الواقع لا تمس الحدث ولكنها تمس (الحدوث).

فالفعل (قطّع) إنما يدل على تكرير(حدوث) حدث القطع.

والفعل (تقاتل) إنما يدل على المشاركة في (حدوث) حدث القتل.

والفعل (انكسر) إنما يدل على المطاوعة في (حدوث) حدث الكسر.

وقد تأتي الزيادة في معنى (الحدوث) من خلال النظم أيضاً عندما تقترن (قد) ببناء (فعل) فيصبح البناء (قد فَعَل) ويدل على تحقق الحدوث كقوله تعالى:(**قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها**) (المجادلة:١) وكقول المؤذن" قد قامت الصلاة".

أما إذا ارتبطت (اللام) المؤكدة بـ (قد) وصار البناء (لقد فعل) فيدل عند ذاك على تأكيد تحقق الحدوث، كقوله تعالى: (**ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه**) (المؤمنون:٢٣)، وكقوله تعالى: (**ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون**) (الأنبياء:١٠٥) ، وكقول كثير عزة:

لقد كذب الواشون ما بُحت عندهم بسوء ولا أرسلتهم برسول

ثالثاً - الدلالة على اتجاه زمني (يحدده النظم):

الاتجاه الزمني لا يمكن أنْ يستدلّ عليه من البناء الفعلي خارج النظم لأن النظم هو الذي يحقق الاتجاهات الزمنية لحدوث الأحداث في الأفعال، والاتجاه الزمني الغالب الذي يدل عليه بناء (فَعَل) في النظم هو الماضي، لأنه استعمل للدلالة على حدوث الحدث في الزمن الماضي وذلك في الجمل الخبرية المثبتة، فالاتجاه الماضي في بناء (فَعَل) دلالة اكتسبها هذا البناء من كثرة استعماله للتعبير عن حدوث الحدث الماضي.

ولهذا صار البناء خارج النظم يشعرنا أنه يدل على الزمن الماضي مما دعا إلى الاعتقاد بوجود دلالة زمنية في أبنية الأفعال وهي مفردة، أي خارج النظم، وسمّاها بعض الباحثين بـ(الزمن الصرفي)[1]، وما الزمن الصرفي في الواقع إلا الاتجاه الزمني لحدوث الحدث في الجمل الخبرية المثبتة، وإنما حدث هذا التوهّم لأن البناء بمفرده يشكّل جملة خبرية مثبتة، فقولك: (نجح) لمن يسألك عن النتيجة الامتحانية لطالب ما، هو جملة خبرية مثبتة، وعندما تقول: إنّ في (نجح) و(كتب) و(لعب) دلالة على الزمن الماضي، فلأنك تفكر في هذه الأفعال وهي جمل خبرية مثبتة لأن الدلالة على الفاعل يتضمنها البناء نفسه.

وعندما نفهم أن الاتجاه الزمني لأبنية الأفعال- ومنها بناء فَعَل- لا يُستدل عليه خارج النظم، ولا يمكن أن يُفهم اتجاه زمني معين من بناء فعلي إلا وهو في داخل النظم، ندرك مدى الخطأ في ربط البناء الفعلي بزمن محدد، ويتضح ذلك الربط عندما أُطلِق على بناء (فَعَل) تسمية (الفعل الماضي).

([1]) اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٤٠.

فالاتجاه الماضي إنما هو أحد اتجاهات الزمن الذي يدل عليه بناء (فَعَل) في النظم، وهو الاتجاه الغالب، لأن هذا البناء قد استخدم للتعبير عن الحدوث الماضي للحدث في الجمل الخبرية المثبتة، وهي النوع الغالب من الجمل في الكلام ولكن هذا البناء يمكن أن يدل على اتجاهات زمنية كثيرة يُستدل عليها من النظم ومن ظروف القول، وهي:

١- **الماضي القريب:** كقولك لمن جاء مسرعاً يظن أن القطار لمّا يغادر: قد غادر القطار، أو غادر القطار.

٢- **الماضي البعيد،** كقول رجل كبير: تمتعتُ بطفولتي كثيراً.

٣- **الماضي المتوسط،** كقولي: تخرجت ابنتي من كلية الطب في العام الماضي.

والماضي المتوسط زمن نسبي، وكذلك الماضي البعيد، فقد يكون المتوسط قريباً بالنسبة للأبعد منه، وكذلك البعيد يكون متوسطاً بالنسبة للأبعد منه وفي كل الأحوال لا يكون الماضي المتوسط قريباً من وقت التكلم.

٤- **الماضي التام**[1]: ويفيد حدوث الحدث في زمن مضى وانقطع، ويدل عليه بناء (فَعَل) مقترناً بـ(كان) فيصبح البناء (كانَ فَعَل) كقوله تعالى:(**إن كنت قلتُه فقد علمته**) (المائدة:١١٦) وكقول الشاعر:

وكنّا حسبنا كلَّ بيضاء شحمةً ليالي لاقينا جُذام وحميرا

ويؤكد هذا الزمن (أي الماضي التام) عند اقترانه بـ(قد) فيصبح البناء (قد كان فَعَل)، كقول أبي الطيب المتنبي:

قد كان شاهد دفني قبل قولهم جماعةٌ ثم ماتوا قبل من دفنوا

وكقول أبي تمام:

قد كان بوّأه الخليفةُ جانبا من قبله حرما على الأقدار

وينبغي ملاحظة الفرق بين (قد كان فَعَل) و (كان قد فَعَل)، فإن (قد) إذا اقترنت بـ (كان فَعَل) فهي تفيد تأكيد الزمن أي تأكيد الماضي التام كما هو واضح من الشاهدين فيما سبق، أما إذا اقترنت ببناء (فَعَل) حيث يُصبح البناء (كان قد فَعَل) فإنها تفيد تأكيد (حدوث الحدث) في الماضي التام فتقدّم (قد) على (كان) يفيد تأكيد الزمن، وتقدم (قد) على بناء (فَعَل) يفيد تأكيد حدوث الحدث كما في قول الجاحظ:

([1]) ينظر ، في النحو العربي قواعد وتطبيق: ٢١.

"وكان الله (عز وجل) قد ألبسه من الجلالة، وغشّاه من نور الحكمة، على حسب نيّة صاحبه وتقوى قائله".

وكقول البحتري:

وكانت قد اغبرت رباها وأظلمت جوانب قطريها وبان اختلالها

٥- **الزمن الحاضر:** أي وقوع الحدث في أثناء الكلام، ولم يتم إلا بالكلام نفسه ويندرج فيه ألفاظ العقود، وعبارات القسم، نحو قولهم: بعتك ، وزوجتك.

٦- **الزمن المطلق:** ويؤديه بناء (فَعَل) عندما يستخدم في النظم ليدل على الدعاء نحو: رحمه الله، وجزاك الله خيراً، ووفقك الله ورعاك، وإنما استخدم للدعاء بناء (فَعل) تثبيتاً وتأكيداً له.

٧- **المستقبل:** يستخدم بناء (فَعَل) لحدوث الحد ث في المستقبل إذا أُريد تأكيده والقطع بحدوثه وتثبيته في النفس على أنه حدث واقع لا محال فهو كالحدث المتحقق الذي تمّ وتأكد حدوثه، كقوله تعالى: (**أتى أمر الله فلا تستعجلوه**) (النحل:١)، وكقوله تعالى:(**إلاّ من أتى الله بقلب سليم**) (الشعراء: ٨٩).

ويد ل بناء (فعل) على المستقبل إذا استعمل في أسلوب الشرط كقوله تعالى: (**إذا السماء انفطرت**) وفي أسلوب العرض والتحضيض ، نحو: هلا منحتني فرصة أُخرى للامتحان. وسنتحدث عن هذين الأسلوبين في موضعيهما إن شاء الله تعالى.

٨- **الماضى المستمر:** وتؤديه (ظلّ) في النظم، سواء أكانت فعلاً رئيساً في الجملة، كقوله تعالى:(**وإذا بُشر أحدهم بالأنثى ظلّ وجهه مسوداً وهو كظيم**) (النحل: ٥٨)، أم كانت فعلاً مساعداً مقترناً ببناء (يفعل)، نحو: ظل المطر ينهمرُ حتى المساء. ومثل ظلّ : ما انفك، وما فتئ وما برح.

أما (ما دام) فتدل على (الاستمرار المشروط)، سواء أكانت فعلاً رئيساً في الجملة، كقوله تعالى: (**خالدين فيها مادامت السمواتُ والأرض**) (هود:١٠٧) أم كانت فعلاً مساعداً ، نحو: ينجح الطالب مادام يدرس بجد ، فاستمرار نجاح الطالب مشروط بدراسته الجادة، وقد أفادت (مادام) هذا المعنى في النظم .

الدلالات الزمنية لـ (كان وأخواتها):

ترد كان وأخواتها في النظم بصورتين:

١- تأتي (كان) فعلاً رئيساً في الجملة، أي يؤدي وظيفة المسند، ويدل على الوجود المطلق في الماضي، كقوله تعالى: (**فإن كان ذو عُسرة فنظرة إلى ميسرة**) (البقرة:٢٨٠) وهي المسماة بـ (كان) التامة.

٢-تأتي (كان) فعلاً مساعداً في الجملة، أي يساعد الفعل الرئيس في منحه الدلالة على الزمن الماضي، فإن كان الفعل الرئيس على بناء (يفعل) اكتسب الزمن الماضي من (كان) وتفرغ البناء -أي بناء يفعل- لدلالة أخرى سنذكرها فيما بعد إن شاء الله،كقوله تعالى: (**فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون**) (البقرة: ١١٣) . وإذا اقترنت (كان) ببناء (فَعَل) زادته عمقاً في الدلالة على الزمن الماضي وأفادت (الماضي التام) الذي ذكرناه فيما سبق، و(كان) هذه هي المسماة بـ (كان الناقصة).

ومثلها الأفعال: (أصبح، أمسى، أضحى، بات) إذ يمكن أن تؤدي وظيفة الفعل الرئيس في الجملة، أي المسند، فتدل كل منها على توقيت معين في الزمن الماضي، كقولنا: أصبحنا وأصبح الملك لله.

ويمكن أن تأتي فعلاً مساعداً في الجملة التي تحتوي على بناء (يفعل) فتمنح البناء الدلالة على الزمن الماضي مصحوباً بتوقيت معين ويتفرغ البناء لدلالة أخرى سنذكرها فيما بعد إن شاء الله، كقوله تعالى:(**وأُحيط بثمره فأصبح يُقلِّب كفيه على ما أنفق فيها**) (الكهف: ٤٢) .

رابعاً- الدلالة على تأكيد الحدث والقطع بحدوثه:

وهي دلالة اكتسبها بناء (فَعَل) من كثرة استخدامه للحدث المتحقق أي الذي تمّ وانتهى حدوثه، فالأحداث التي تحققت ومضى حدوثها وانتهى يُستخدم لها بناء (فَعَل)، فإذا استخدم هذا البناء لحدث مستقبلي فإنما يستخدم للدلالة على أن هذا الحدث المستقبلي مؤكد التحقق وأنه في حكم الأحداث الماضية المنتهية المتحققة من حيث تأكيد حدوثها، كقوله تعالى: (**إذا السماء انفطرت، وإذا الكواكب انتثرت، وإذا البحار فُجرت، وإذا القبور بُعثرت، علمت نفس ما قدمت وأخرت**) (الانفطار:١-٥) وكذلك كل الأحداث المستقبلية التي جاءت على بناء (فَعَل) في القرآن الكريم إنما هي لتثبيت الحدث والقطع بحدوثه وتأكيده ، سواء أكان في أسلوب الشرط كما في الآية السابقة أم في غيره، كقوله تعالى:(**أتى أمر الله فلا تستعجلوه**) (النحل:١) وقد دلّ بناء (فَعَل) على القطع بحدوث الحدث أيضاً في قول جعفر بن يحيى:" قد كثر شاكوك، وقلَّ شاكروك، فإما

اعتدلت، وإما اعتزلت" فقد جاء بناء (فَعَل) في قوله: اعتدلت أو اعتزلت، لإفادة أنّ أحد هذين الحدثين مقطوع بحدوثهما، وكأنهما من الأحداث المنتهية والمتحقق حدوثها لا محال، كي لا يظن المعنيّ أن له سبيلاً غير أحد هذين السبيلين.

خامساً- الدلالة على فاعل الحدث:

لقد صار بناء (فَعَل) يدل على أنّ فاعل الحدث هو المفرد المذكر الغائب، نحو: كتب، لأن الفاعل إذا كان مفرداً مؤنثاً لحقتْ التاء بالفعل في آخره ، نحو: كتبتْ، وإذا كان الفاعل مثنى لحقته الألف في آخره، نحو: كتبا وكتبتا، وإذا كان الفاعل جماعة الذكور، لحقته الواو، نحو: كتبوا ، وإذا كان الفاعل جماعة الإناث، لحقته النون، نحو: كتبْنَ، وهكذا تلحق الفعل في آخره علامات تدل على الفاعل- نوعه وعدده- وكان تجرد البناء، بناء (فَعَل) من العلامة اللاحقة حالة خلافية صارت تدل على الفاعل المفرد المذكر الغائب.

وإذ نعدُّ التجرد من اللاحقة علامة، نجد أن علامة النوع (التذكير والتأنيث) تلحق الفعل سواء أتقدم الفعل على فاعله أم تأخر عنه، نحو: نجح الطالب أو الطالب نجح، ونحو: نجحت الطالبة أو الطالبة نجحتْ.

أما علامات العدد فتلحق الفعل في حالة تقدم الفاعل عليه، لتكون دليلاً على إسناده للفاعل المتقدم نحو: الطالبان نجحا، والطالبتان نجحتا، والطلاب نجحوا، والطالبات نجحن ، فما هذه اللواحق إلا علامات تشير إلى الفاعل المتقدم، وهذه المطابقة يقتضيها النظم في حالة تقدم الفاعل على فعله لتدل على الانتهاء من الإسناد، أي إسناد الفعل إلى فاعله، أما إذا تأخر الفاعل عن فعله فلا تلزم المطابقة في العدد، ولاحظ الفرق بين قولنا: الفائزون نالوا جائزة، وقولنا: الفائزون نال مدربُهم جائزة، فقد دلّتْ اللاحقة في (نالوا) على أن إسناد الفعل قد تمّ للفاعل المتقدم بدليل المطابقة، ولم تلزم المطابقة الفعل (نال) في المثال الثاني لأنه مسند إلى فاعل متأخر عنه.

فالمطابقة في العدد لازمة في حالة تقدم الفاعل على فعله، وغير لازمة في حالة تقدم الفعل على فاعله، وقد ورد- على قلة- وجود لاحقة في الفعل وهو متقدم على فاعله، في لغة بعض القبائل، لغة (أكلوني البراغيث) وجاء على مثالها قوله تعالى: (**وأسرّوا النجوى الذين ظلموا**) (طه:٦٢) ولربما لضرورة (التأكيد) على الفاعل في الآية الكريمة، جاءت الإشارة إليه باللاحقة مع أنه مذكور بعد الفعل بالكلمات الظاهرة.

هكذا نتعامل مع اللواحق، فكلها علامات تدل على نوع الفاعل أو عدده، والغاية من تنوعها، أمن اللبس، وتمييز الحالات المختلفة بهذه العلامات المختلفة، وكان التجرد من العلامة بحد ذاته علامة أيضاً لأن التجرد يميز البناء المجرد عما سواه من الأبنية التي لحقتها العلامات.

وفيما يأتي جدول لتوضيح صورة بناء (فعل) مع الفاعل من حيث العدد والنوع، في حالة تقدم الفعل على الفاعل، وفي حالة تقدم الفاعل على الفعل:

نجح الطالب	الطالب نجح	أنتَ نجحتَ
نجح الطالبان	الطالبان نجحا	أنتِ نجحتِ
نجح الطلاب	الطلاب نجحوا	أنتما نجحتما
نجحت الطالبة	الطالبة نجحت	أنتم نجحتم
نجحت الطالبتان	الطالبتان نجحتا	أنتنّ نجحتنَّ
نجحت الطالبات	الطالبات نجحن	

أما إعراب بناء (فَعَل) فكما جاء عند النحاة، وهو:

١- يبنى على الفتح إذا لم تلحقه علامة، نحو: كتب، أو إذا لحقته تاء التأنيث الساكنة، أو ألف التثنية، نحو: كتبتْ و كتبا أو كتبتا.

٢- يبنى على السكون إذا اتصلت به التاء المتحركة، نحو: كتبتُ، كتبتَ ، كتبتِ، أو (نا) جماعة المتكلمين، نحو: كتبنا، أو (نون) جماعة الإناث، نحو: كتبْنَ.

٣- يبنى على الضم إذا اتصلت به (واو) جماعة الغائبين ، نحو: كتبوا.

بناء (يفعل)

ويحمل هذا البناء (في النظم) الدلالات الآتية:

أولاً- الدلالة على الحدث .

ثانياً- الدلالة على الحدوث.

ثالثاً- الدلالة على المزاولة والتزجية والتجدد.

رابعاً- الدلالة على اتجاه زمني (يحدده النظم).

خامساً- الدلالة على فاعل الحدث.

وسأوضح كل دلالة من الدلالات السابقة فيما يأتي:

أولاً- الدلالة على الحدث:

وهي – كما ذكرنا سابقاً – دلالة لازمة لأبنية الأفعال كافة، وبناء (يفعل) أحد أبنية الأفعال، فالدلالة على الحدث كامنة في صلبه، كحدث الفوز في الفعل: فاز أو يفوز، وحدث النجاح في الفعل : نجح أو ينجح ولكن الدلالة على الحدث لوحدها لا تصيّر البناء (فعلاً) ما لم يقترن بالدلالة المهمة الثانية وهي:

ثانياً- الدلالة على الحدوث:

وهي دلالة لازمة أيضاً لأبنية الأفعال، إذ لا يكون البناء بناءً فعلياً ما لم يدل الحدث فيه على الحدوث، فقد يتجرد البناء من دلالته المعتادة على الزمن ولن يؤثر هذا على فعلية البناء، لأن النظم يتكفل بمنح اتجاه زمني معين للبناء، أما الدلالة على الحدوث فلابد منها في البناء الفعلي، بل هي دليل فعلية البناء وهي مرتبطة بالحدث ارتباط الروح بالجسد في الإنسان الحي، فأنت ترى الجسد في الإنسان الحي ولا ترى روحه وهي سبب حياته كذلك يتضح لك الحدث في البناء الفعلي، ولا يتضح لك الحدوث وهو روح البناء وسبب فعليته، وخذ حدث (القيام) مثلاً فما إن يدل على الحدوث حتى يصبح(قام) أو (يقوم) أو (قائم)، أما الاتجاه الزمني فالنظم كفيل به وبمنحه للبناء.

فالفعل (يكتب) مثلاً يدل على حدث وحدوث، وزمن الحدوث إما أن يكون الزمن المعتاد عليه في بناء (يفعل) وهو الزمن الحاضر، لأنه استخدم للحاضر في الجمل الخبرية المثبتة، نحو: يكتب زيد، وإما أن يمنح النظم زمناً آخر للبناء، كالزمن الماضي الممنوح لبناء (يفعل) عند اقترانه بـ (كان) نحو: كان يكتب، والزمن الماضي الممنوح لبناء (يفعل) عند اقترانه بـ (لم) في أسلوب النفي، نحو: لم يكتب.

وهذا التوضيح يشمل بناء (فَعَل) السابق أيضاً، فالفعل (كتب) يدل على(حدث وحدوث)، وهما دليل فعلية البناء، أما الزمن فهو إما أن يكون الزمن المعتاد عليه مع بناء (فَعَل) وهو الزمن الماضي، لأنه استخدم للماضي في الجمل الخبرية المثبتة، نحو: كتب زيد، وإما أن يتكفل النظم بمنح البناء زمناً آخر، كالزمن المستقبل الممنوح لبناء (فَعَل) في أسلوب الشرط ، نحو: إذا درست نجحت.

وهكذا تجد أن (الحدث والحدوث) أساس فعلية البناء، أما لاتجاه الزمني فلا بد من أن يرتبط بالحدوث من خلال النظم أو يستدل عليه من ظروف القول.

وتبلغ أهمية الحدوث أن أية زيادة على معناه تؤدي إلى زيادة في المبنى نفسه نحو: يفعّل، ويفاعل، وينفعل، ويستفعل، وكلها تدل على زيادات في معنى الحدوث،

كالتكرير في الحدوث، والمشاركة في الحدوث، والمطاوعة في الحدوث، و قد تكفلت كتب الصرف بتوضيح المعاني المضافة، ولكن – كما ذكرت سابقاً – علماء الصرف ظنوا أن الزيادة تمس الحدث، وهي في الواقع تمس الحدوث.

أما المعاني المضافة إلى حدوث الحدث في بناء (يفعل) من خلال النظم فهي:

١- **تأكيد الحدوث:** ويتم تأكيد الحدوث عند اقتران بناء (يفعل) بـ (اللام) المؤكدة أو (النون) المؤكدة، الخفيفة أو الثقيلة، وتجد التوكيد، أي توكيد الحدوث باللام وبالنون بنوعيها في قوله تعالى: (**ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنـنّ وليكونن من الصاغرين**) (يوسف: ٣٢).

وينبغي ملاحظة الفرق بين التوكيد بالنون المشددة (الثقيلة) والتوكيد بالنون الخفيفة، في أن الأولى أقوى تأكيداً وأشد من الثانية، لذلك جاء الفعل (ليسجننّ) في الآية السابقة مؤكداً بالنون الثقيلة، لأن امرأة العزيز متأكدة تمام التأكد من أنها ستتمكن من سجن يوسف عليه السلام، وجاء الفعل (ليكوننْ) مؤكداً بالنون الخفيفة، لأنها متأكدة– ولكن بدرجة أقل– من أن يوسف –عليه السلام– سيكون من الصاغرين، وذلك أيضاً لأن الأمر الأول أي الحدث الأول، وهو سجن يوسف متعلّق بها، وهي التي ستنفذه، وهي تستطيع أن تؤكد بقوة ما ستفعل، ولكن الأمر الثاني أي الحدث الثاني متعلّق بيوسف– عليه السلام– فليس لها أن تؤكّده بدرجة التأكيد نفسها.

٢- **تكثير الحدوث أو تأكيده أو تقليله أو توقعه:** وتتضح هذه الدلالات في النظم عندما يقترن بناء (يفعل) بـ (قد) فيصبح البناء (قد يفعل)، ويتكفل النظم بتحديد إحدى هذه الدلالات: فتجد أن السياق يوجه دلالة (قد يفعل) إلى تكثير الحدوث في قوله تعالى:(**قد نرى تقلّب وجهك في السماء**) (البقرة:١٤٤) وإلى تأكيد الحدوث في قوله تعالى: (**ألا إن لله ما في السموات والأرض، قد يعلم ما أنتم عليه**) (النور: ٦٤) .

وتجد النظم يوجه دلالة (قد يفعل) إلى توقع الحدوث في قول الشاعر:

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

ويوجه النظم دلالة (قد يفعل) إلى تقليل الحدوث في نحو قولك: قد أساعد خصمي، وقد يهرب الشجاع.

٣- **مقاربة الحدث من الحدوث** : وتتضح الدلالة على مقاربة الحدث من الحدوث عندما يقترن بناء (يفعل) بـ (كاد) أو (يكاد) فيصبح البناء (كاد يفعل) أو(يكاد يفعل) كقوله

تعالى:(**قال ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني**) (الأعراف: ١٥٠)، فالنظم يدل على مقاربة الحدث من الحدوث ولكنه لم يحدث.

ونلاحظ أن الزمن المعتاد في بناء (يفعل) قد انحسر وتلاشى وصار النظم مع (كاد) يفيد مقاربة الحدث من الحدوث في الزمن الماضي، فإن أُريد لمقاربة الحدوث أن تكون في الزمن الحاضر أو الزمن المطلق أدى بناء (يكاد يفعل) هذه الدلالة كقوله تعالى: (**يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار**) (النور:٣٥) وكقوله تعالى:(**يكاد البرق يخطف أبصارهم**) (البقرة:٢٠) .

أما إذا أُريد تأكيد مقاربة الحدوث اقترنت (اللام) المؤكدة ببناء يفعل، كقوله تعالى:(**وإنْ يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم**) (القلم:٥٢) ، فهذا النظم يدل على أنّ الحدث مؤكّد في قربه من الحدوث لوجود(إنْ) المؤكدة قبل (يكاد) ولاقتران بناء (يفعل) باللام المؤكدة، فهو حدث مؤكد في مقاربته من الحدوث ولكنه لم يحدث.

٤- **السرعة في مقاربة الحدث من الحدوث:** وتتم الدلالة عليه في النظم عندما يقترن بناء يفعل بـ(أوشك) أو (يوشك)، فيصبح البناء (أوشك أن يفعل) ويعني المقاربة السريعة من الحدوث وتأتي (أوشك) في النظم بصورتين:

١- تأتي (أوشك) فعلاً رئيساً أي (مسنداً) في الجملة ومعناه أسرع [١] نحو: أوشك خالد في السير.

٢- تأتي فعلاً مساعداً في الجملة وذلك عندما تقترن ببناء (يفعل)، ويبدو أن (أوشك) عند اقترانها ببناء (يفعل) تبقى متضمنة معنى الإسراع، وتؤدي (أنْ) وظيفة الوصل، أي إيصال معنى الإسراع إلى حدوث الحدث، فيصبح البناء (أوشك أن يفعل) ويدل على السرعة في مقاربة حدوث الحدث، ويمكن أن نفسر (كرب) بالطريقة نفسها، فالفعل(كرب) بمعنى: دنا وقارب، ومنه: كَرَبتْ الشمس[٢]، بمعنى دنت، وعندما يقترن (كرب) ببناء (يفعل) يصبح فعلاً مساعداً يمنح الحدوث معنى الدنو والمقاربة، نحو: كرب الثلج يذوب، بمعنى دنا الثلج وقارب من الذوبان.

---

(١) وَشُكَ الأمر- ككرُم- سرُع، وأوشك: أسرع السير، مختار القاموس، حرف الواو مادة (و ش ك). وينظر في النحو العربي نقد وتوجيه : ١٨٧.

(٢) ينظر، مختار القاموس، حرف الكاف، مادة (ك ر ب).

ومما ينبغي ملاحظته الفرق بين استعمال (أوشك) واستعمال (يوشك) في أن (أوشك) تستعمل في سياق الزمن الماضي وسياق المستقبل القريب جداً من الحاضر، نحو: سبح الولد في النهر وأوشك أن يغرق، فالسياق هنا يدل على الزمن الماضي، ونحو: أوشك الفرج أن يأتي وأنا أنتظره بفارغ الصبر، وهنا (أوشك أن يأتي) تدل على المستقبل القريب جداً من الحاضر. أمّا (يوشك) فإن استخدمت فلا تستخدم إلا للزمن الحاضر أو المستقبل القريب من الحاضر، إذ لا يصح أن تقول: سبح الولد في النهر ويوشك أن يغرق، ولكنْ يصح أن تقول: أنا أنتظر الفرج ويوشك أن يأتي.

٥- **الشروع بالحدوث:** وتتم الدلالة على الشروع بالحدوث في النظم عندما تقترن (طفق) ببناء (يفعل) فيصبح البناء (طفق يفعل)، كقوله تعالى: (**وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة**) (الأعراف: ١٢).

ولم أجد غير (طفق) للدلالة على الشروع في القرآن الكريم، وقد ذكر النحاة كلمات أخرى سمّوها(أفعال الشروع) وهي: أخذ، جعل، علق، أنشأ، بدأ. وهذه الأفعال- في الواقع- تستعمل بطريقتين:

١-تكون فعلاً رئيساً في الجملة أي (مسنداً) يتضمن الدلالة على الحدث والحدوث وغيرها من دلالات بناء الفعل، نحو: أخذ الطفل لعبته، وأنشأ العمال مباني ضخمة.

٢-تكون فعلاً مساعداً في الجملة عندما تقترن ببناء(يفعل)، فيصبح البناء (أخذ يفعل) و(بدأ يفعل) و(جعل يفعل) و(طفق يفعل) وهكذا، فتدل على الشروع بالحدوث نحو: أخذ الطفل يبكي، وبدأ المطر يهطل. ويلاحظ أنّ (أخذ) في مثل هذا الاستعمال مفرغة من الدلالة على الحدث وليس لها سوى الدلالة على الشروع والزمن الماضي، أما بناء (يفعل) فينحسر منه الزمن المعتاد (الحاضر) وتبقى له الدلالة على الحدث والحدوث والدلالة على التزجية التي سنأتي على توضيحها بعونه تعالى.

ويمكن توضيح فاعلية النظم وتعاون جميع أجزاء الكلام من أجل المعنى في قول الشاعر:

فأتبعتهم طرفي وقد زال ركنهم وقد جعل الإنسانُ بالماء يغرقُ

فالإنسان، أي إنسان العين ، فاعل للفعل (يغرق) وقد استخدمت (جعل) في هذا النظم فعلاً مساعداً يساعد في الدلالة على الشروع بالحدوث في الزمن الماضي.

ونلاحظ التعاون التام ما بين (جعل) و(يغرق) من أجل التعبير عن حال عينيه عندما كانت تتابع رحيل الأحبة، فالدلالة على الشروع والدلالة على الزمن قدمه الفعل المساعد (جعل) والدلالة على الحدث والحدوث الموحي بالتزجية قدمه الفعل الرئيس (يغرق).

ثالثاً- الدلالة على المزاولة والتزجية والتجدد:

وهي دلالة أخرى غير الحدث والحدوث، يوحي بها بناء (يفعل)، وهي كامنة فيه أيضاً، إذ يدلّ هذا البناء على التجدد ومزاولة الحدوث والتزجية فيه، وأنه يحدث شيئاً فشيئاً، فمثلاً، عندما نسمع جملة: الطفل يحبو، يوحي لنا الفعل (يحبو) بتفاصيل الحدوث، ويضع في الذهن صورة الطفل وهو يحرك رجله اليمنى ببطء ويتبعها باليسرى، ويزاول أو يُحدث هذا الحدث شيئاً فشيئاً بالحركات التي تؤديه، وعندما نسمع جملة: الفنانُ يرسمُ لوحة، يوحي لنا الفعل (يرسم) بحركات أصابع الفنان وهي تتحرك شيئاً فشيئاً، ويضع بناء (يفعل) في الذهن صورة الحدث بتفاصيل حدوثه دُفعة واحدة، ومثله الفعل يقرأ، ويكتب، ويركض، ويتأمل، وكل ما جاء على بناء(يفعل) فإنه يوحي بالحدوث شيئاً فشيئاً، وهذه الدلالة مختصة ببناء (يفعل) ولا يوحي بها أي بناء فعلي آخر. لذلك فإن بناء (يفعل) يتميز بقدرته على رسم صور الحدوث في ذهن السامع.

ومما هو جدير بالذكر أن بناء (يفعل) قد يكون اختياره في نظم معين لوجود هذه الدلالة فيه، أي لأنه يوحي بالتجدد وبالمزاولة والتزجية وأنه يحدث شيئاً فشيئاً، وكان الجرجاني أول من أحس بهذه الدلالة ومثل لها بقول الأعشى:

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة إلى ضوء نار في يفاع تحرّقُ

تُشبُ لمقرورين يصطليانها وبات على النار الندى والمحلَّقُ

فقال: "معلوم أنه لو قيل (إلى ضوء نار متحرقة) لنبا عنه الطبع، وأنكرته النفس، ثم لا يكون ذلك النبو، وذاك الإنكار من أجل القافية، وأنها تفسد به، بل من جهة أنه لا يشبه الغرض ولا يليق بالحال... وذاك لأن المعنى على أن هناك موقداً يتجدد منه الإلهاب والإشعال حالاً فحالاً وإذا قيل: (متحرقة) كان المعنى أن هناك ناراً قد ثبتت لها ومنها هذه الصفة وجرى مجرى أن يقال: إلى ضوء ناء عظيمة" [1].

ثم أكّد الجرجاني دلالة الفعل على التجدد والتزجية حين استشهد بالبيت الآتي:

([1]) دلائل الإعجاز: ١٣٥- ١٣٦.

أو كلما وردت عُكـاظ قبيلة بعثوا إليَّ عريفَهم يتوسمُ

فقال:" ذلك لأن المعنى على توسّمٍ وتأملٍ ونظرٍ يتجدد من العريف هناك حالاً فحالاً، وتصفّح منه للوجوه واحداً بعد واحد، ولو قيل : (بعثوا إليّ عريفهم متوسماً) لم يفد ذلك حق الإفادة ".

ومن ذلك قوله تعالى: (**هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض**) (فاطر:٣) فلو قيل: هل من خالق غير الله رازق لكم، لكان المعنى غير ما أُريد." [١]

ومما هو جدير بالملاحظة أن الجرجاني ذهب – في تنظيره – إلى أن الفعل عموماً يدل على التجدد [٢] ، وردد العلماء من بعده القول بدلالة الفعل أياً كان بناؤه– على التجدد، والواقع أن التجدد دلالة يختص بها بناء (يفعل) فقط، أما الدلالة المشتركة بين أبنية الأفعال كافة فهي دلالة (الحدوث) وليس التجدد.

رابعاً: الدلالة على اتجاه زمني (يحدده النظم):

الاتجاه الزمني دلالة يكتسبها البناء الفعلي من خلال النظم وبما أنّ بناء (يفعل) استعمل للدلالة على الزمن الحاضر في الجمل الخبرية المثبتة، وهي الجمل الغالبة، لذلك صار بناء(يفعل) يدل على الزمن(الحاضر) حيث غلب استعماله للتعبير عن حدوث الحدث بهذا الاتجاه من الزمن.

فالدلالة الزمنية ليست كامنة في صلب أبنية الأفعال، وإنما هي مكتسبة من كثرة استعمال البناء للتعبير عن حدوث حدثه في زمن معين، لذلك يمكن للنظم أن يمنح الأبنية الفعلية اتجاهات زمنية مختلفة على حسب حاجة المعنى.

فالبناء وهو مفرد (أي خارج النظم) خالٍ من الزمن، وإنما الذي يضع الزمن في بناء الفعل هو(النظم)، وبذلك تختلف اتجاهات الزمن في بناء(يفعل) على حسب النظم الذي يكون فيه، وما يتطلبه من دلالة زمنية لحدوث الحدث أو لنفي حدوث الحدث، نحو: يكذب زيد (للحاضر)، ولم يكذب زيد (للماضي) ولن يكذب زيد (للمستقبل)، وسيتضح هذا الأمر عندما نأتي على دراسة الجمل التي تهيمن عليها المعاني العامة، حيث يؤدي النظم دوره في منح البناء الفعلي دلالة زمنية معينة يقتضيها المعنى.

أما الزمن مع بناء(يفعل) في الجمل المثبتة فيأخذ الاتجاهات الآتية:

---

(١) دلائل الإعجاز: ١٣٦.

(٢) ينظر ، دلائل الإعجاز: ١٣٣.

١- **الزمن الحاضر:** فقد استخدم بناء (يفعل) للدلالة على حدوث الحدث في الحاضر، نحو: يقرأ زيد، أي أن بناء(يفعل) يدل على الزمن الحاضر إذا كان فعلاً رئيساً بنيت عليه الجملة، ولم يقترن البناء بأداة تصرف الزمن إلى اتجاه آخر.

٢- **الزمن المطلق:** وأقصد به الزمن الذي يتناسب مع جميع الاتجاهات الزمنية، فهو غير محدود بالحدود الزمنية المعروفة لأنه مطلق، ويدل عليه البناء الفعلي الذي يعبر عن الأحداث العامة، والعادات الجارية، نحو: تدور الأرض حول الشمس، ويتعلم الطفل من والديه، والمؤمن يخشى الله .

٣- **المستقبل القريب:** وتتضح الدلالة عليه عندما يقترن بناء (يفعل) بـ(السين) فيصبح البناء (سيفعل) نحو: سأكتب رسالة، والواقع أن ظروف القول أو النظم نفسه يسهم في الدلالة على المستقبل البعيد، كقوله تعالى:(**سيصلى ناراً ذات لهب**) ولكن تأكيد حدوث الحدث مع (السين) أوضح منها مع (سوف).

٤- **المستقبل البعيد** : وتتضح الدلالة عليه عندما يقترن بناء(يفعل) بـ(سوف) فيصبح البناء (سوف يفعل)، كقوله تعالى:(**ومن يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه**) (المائدة: ٥٤) .

وعندما يراد تأكيد هذا الزمن تقترن (سوف) بـ (اللام) المؤكِّدة، فيصبح البناء (لسوف يفعل) كقوله تعالى:(**ولسوف يعطيك ربك فترضى**) (الضحى:٥) .

وقد تكرر الجملة بأكملها تأكيداً لحدوث الحدث في المستقبل، كقوله تعالى:(**كلا سيعلمون، ثم كلا سيعلمون**) (النبأ:٣-٤) .

٥- **الماضي:** يدل بناء (يفعل) على الزمن الماضي عندما يأتي في جملة فعلها الرئيس الذي بنيت عليه الجملة قد جاء على بناء (فعل) واستخدم للدلالة على الزمن الماضي كقوله تعالى:(**فجاءته أحداهما تمشي على استحياء**) (القصص٢٥) ، وقوله تعالى:(**فجاءوا أباهم عشاءً يبكون**) (يوسف١٦)، فالنظم الذي يحتوي على فعل رئيس استخدم للماضي يمنح الزمن نفسه لحدوث الحدث في بناء (يفعل) الذي يقع موقع المفرد المتعلق به- أي بالفعل الرئيس- فالزمن الماضي الذي يدل عليه الفعل الرئيس (جاء) في كلتا الآيتين يسري إلى الفعل(تمشي) في الآية الأولى والفعل (يبكون) في الآية الثانية لأنهما فعلان متعلقان بالفعل الرئيس أي واقعان

موقع المفرد (الحال)، وبذلك فإن الفعل (تمشي) يدل على الزمن الماضي لتعلقه بالفعل الرئيس(جاء) الذي يدل على الماضي وكذلك الفعل (يبكون) في الآية الثانية.

وإن سألتَ لِمَ لمْ يأتِ الفعل المتعلق على بناء(فَعَل) مادام يدل على الماضي، أي لمَ لمْ يكن النظم " فجاءته إحداهما وقد مشت على استحياء" فالجواب هو أن بناء (يفعل) يدل على تفاصيل الحدوث، أي تفاصيل المشي، ويمكّن الذهن من تصوّر الحدوث أي حدوث المشي المتصف بالحياء، بتفاصيله شيئاً فشيئاً، ويمكننا أن نتخيل طريقة مشيتها خطوة خطوة، والزمن الماضي ليس عسيراً أن يحصل عليه البناء فقد سرى إليه من الفعل الرئيس (جاءته) ولكن تصوير الحدوث بهذه الطريقة التفصيلية خطوة خطوة لا يمكن أن يدل عليها غير بناء(يفعل).

ولهذا السبب جاء الفعل على بناء (يفعل) في هذه الآية الكريمة. والله أعلم.

وكذلك يدل بناء (يفعل) على الزمن الماضي عندما يقترن هذا البناء بـ (كان) فيصبح البناء (كان يفعل)، نحو: كان الأب ينصح ابنه، وكان المطر ينهمر بغزارة. فـ(الأب) هو الفاعل في الجملة الأولى، والمطر هو الفاعل في الجملة الثانية سواء أتقدم على (كان يفعل) أم توسط بينهما، أم تأخر عنهما، نحو: المطر كان ينهمر بغزارة، أو كان المطر ينهمر بغزارة، أو كان ينهمر المطر بغزارة، وإنما هي حرية النظم التي تتمتع بها العربية، فيقدم الفاعل للاهتمام به، ولتوجيه فكر السامع إليه منذ بداية الحديث.

وهنا تتضح دلالة بناء (يفعل) على ما يوحي به من التجدد ومن المزاولة والتزجية ووضع تفاصيل حدوث الحدث دفعة واحدة في ذهن السامع، وذلك لأن بناء (يفعل) عندما يقترن بـ(كان) تسري إليه الدلالة الزمنية من (كان) فيدل حدثه على أنه قد حدث في الزمن الماضي ويتفرغ هو لإبراز الدلالة التي يتميز بها وهي رسم صورة تفاصيل الحدوث دفعة واحدة في ذهن السامع.

وربما تتضح هذه الدلالة من خلال ملاحظة الفرق بين قولنا:كان المطر قد انهمر بغزارة في الشتاء الماضي، وقولنا: كان المطر ينهمر بغزارة في الشتاء الماضي، فالنظم في كلتا الجملتين يدل على أن زمن حدوث الحدث(أي انهمار المطر) هو الزمن الماضي بدليل وجود(كان) في كلتيهما، ولكن الجملة الأولى تدل على تأكيد تحقق الحدوث في الماضي، والجملة الثانية تضع في الذهن صورة تفاصيل حدوث الانهمار، وكيف أنه كان

ينهمر حالاً فحالاً، ويتجدد فيه الحدوث حتى تكاد ترى بعين الخيال قطرات المطر المتتابعة شيئاً فشيئاً، وذلك ما لا يدل عليه بناء(فعل).

ويمكن أن يؤكّد الزمن الماضي بضم (قد) إلى (كان) فيصبح البناء (قد كان يفعل)، كقوله تعالى: (**أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون**) (البقرة:٧٥) ، وكقول النادِم: قد كان أبي ينصحني ولكنني تماديتُ، ويزداد التوكيد بإضافة اللام إلى (قد) فيصبح البناء (لقد كان يفعل)، ومثل كان في دلالتها على الزمن الماضي مع إفادة توقيت خاص: (أصبح، أضحى، أمسى ، بات) حيث إن لها في النظم استعمالين:

١- تكون فعلاً رئيساً يؤدي وظيفة المسند في الجملة، كقوله تعالى:(**فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون**) (الروم:١٧) .

٢- تكون فعلاً مساعداً يساعد الفعل الرئيس الذي يحمل الدلالة على الحدث والحدوث في منحه الاتجاه الزمني والدلالة على التوقيت الخاص. كقوله تعالى:(**وأُحيط بثمره فأصبح يقلّب كفيه على ما أنفق فيها**) (الكهف:٤٢) .

ويلاحظ كيف يتعاون أجزاء النظم في قوله تعالى (فأصبح يقلب كفيه) حيث تقدّم (أصبح) الدلالة على الزمن الماضي، وعلى التوقيت الخاص وهو الصباح، ويقدم بناء (يفعّل) في الفعل (يقلّب) الدلالة على الحدث والحدوث المتكرر والدلالة على المزاولة والتزجية والتفصيل في حدوث الحدث. ويا لها من صورة دقيقة متحركة تتمثل في المخيلة لهذا المشهد حيث ترتسم في الذهن حركة الكفين وهما يزاولان التقليب مع تكرير حدوث هذا الحدث عدة مرات تعبيراً عن شدة الندم وقد تعاونت أجزاء النظم على رسم هذه الصورة الحركية في المخيلة ووضعها في إطارها الزمني المناسب.

٦- **الزمن المستمر**: وتتم الدلالة عليه حين يقترن بناء(يفعل) بـ(لايزال) فيصبح البناء (لايزال يفعل)، كقوله تعالى:(**ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم**) (البقرة:٢١٧) ويلاحظ أيضاً التعاون بين أجزاء النظم حيث تقدم (لايزال) الدلالة على الاستمرار، أي استمرار الحدوث وعدم توقفه، ويقدم بناء(يفعل) الدلالة على الحدث والحدوث والدلالة على المزاولة والإيحاء بتفاصيل المقاتلة، فترتسم في الذهن صورة مليئة بالحركة والاستمرارية، يحققها تعاون أجزاء النظم وتفاعلها في تقديم الدلالات المناسبة.

وتتم الدلالة على الزمن المستمر أيضاً من خلال الكلمات: مادام، مافتئ، ما انفك، مابرح، نحو:ما فتئ الطالب يذاكر، وقد يحذف النفي من فتئ والنظم يدل على المحذوف كقوله تعالى: (**تالله تفتأ تذكر يوسف**)(يوسف ٨٥).

وكذلك نفهم الزمن المستمر عندما يقترن بناء (يفعل) بـ (ظل) فيصبح البناء (ظلّ يفعل) نحو: ظل المتسابق يتدرب. ويفيد بناء(ظل يفعل) الاستمرار وبقاء حدوث الحدث في جميع الأزمنة أما إذا صار البناء(يظل يفعل) فهو لاستمرار حدوث الحدث في الحاضر والمستقبل ويختص بناء(سيظل يفعل) وبناء(سوف يظل يفعل) باستمرار الحدوث في المستقبل القريب والبعيد.

ويُلاحظ أنّ مادام (وأخواتها) التي تدل على الاستمرار، تأتي في النظم مقترنة ببناء(يفعل) وهي عند ذاك تُعدّ فعلاً مساعداً يمنح الحدوث الكامن في بناء(يفعل) الدلالة على الزمن المستمر، كما مثلنا سابقاً، وقد يأتي بعضها فعلاً رئيساً أي هو المسند في الجملة، كقوله تعالى:(**خالدين فيها ما دامت السموات والأرض**) (هود:١٠٧) وتدل مادام هنا على الوجود المستمر.

خامساً – الدلالة على فاعل الحدوث:

يدل بناء (يفعل) على الفاعل الذي أحدث الحدث أي فاعل الحدوث، إذ تلحقه من أوله علامات تشير إلى فاعل الحدوث، وهذه العلامات جُمعت في كلمة (نأيتُ)، ذلك أن بناء (يفعل) يدل على أن الفاعل هو المفرد المذكر الغائب، و(أفعلُ) يدل على أن الفاعل هو المتكلم، و(نفعل) يدل على أن الفاعل هو جماعة المتكلمين، و(تفعل) للفاعل بنوعيه: المفرد المخاطب والمفردة الغائبة، والنظم كفيل بتمييز أحدهما من الآخر.

وتلحق بناء (يفعل) وبناء (تفعل) علامات من آخره للمطابقة مع الفاعل المتقدم وإنما لزمت المطابقة لأمن اللبس، ولكي تُفهم نسبة كل فعل إلى فاعله في النظم، فأنت تعرف من المطابقة أن الفعل مسند للفاعل المتقدم في قولنا: الفائزان يجلسان في المقدمة، وتعرف أن الفعل مسند للفاعل المتأخر إذا خلا من هذه العلامة (علامة المطابقة) في قولنا: الفائزان يجلس أبوهما في المقدمة.

ولاحظ الفرق بين قولنا: الناجحون يفتخرون بنتائجهم، وقولنا: الناجحون يفتخر آباؤهم بنتائجهم، إذ يفهم السامع من المطابقة باللاحقة في الجملة الأولى أن الفعل مسند

للفاعل المتقدم وأن الإسناد قد تمّ وانتهى بدليل الإشارة إلى عدده ونوعه بهذه العلامات اللاحقة.

فالمطابقة في العدد غير لازمة في حالة تقدم الفعل على الفاعل، وما ورد من مطابقة في العدد قليل وهو على لغة بعض القبائل، لغة (أكلوني البراغيث) وقد ذكرنا ذلك عند حديثنا عن بناء(فعل).

أما في حالة تقدم الفاعل على الفعل فالمطابقة لازمة، وضرورة لا يستغني عنها النظم لأمن اللبس، ولكي يفهم السامع أن إسناد الفعل(المسند) قد تمّ إلى الفاعل المتقدم، بدليل العلامة التي لحقت به إشارةً إلى الفاعل المتقدم وهي مطابقة له في (عدده ونوعه)، وفيما يأتي جدول يوضح خلو الفعل من اللواحق في حالة تقدمه على الفاعل، ووجود اللواحق في حالة تقدم الفاعل على فعله:

ينجح المجد	المجد ينجح	أنتَ تنجح	– أنتِ تنجحين
ينجح المجدان	المجدان ينجحان	أنتما تنجحان	
ينجح المجدون	المجدون ينجحون	أنتم تنجحون	
تنجح المجدة	المجدة تنجح	أنتن تنجحن	
تنجح المجدتان	المجدتان تنجحان		
تنجح المجدات	المجدات ينجحن		

والغاية من تنوّع العلامات التي تدلّ على الفاعل، والغرض من اختلافها، هو (أمن اللبس) لكي يصل المعنى دونما غموض أو التباس ، ويلاحظ أن التجرد من العلامة، هو بذاته علامة أيضاً مادام التجرد يدل على اختلاف البناء المتجرد عما سواه من الأبنية التي لحقتها العلامات.

أما المطابقة في النوع (أي من حيث التذكير والتأنيث) فقواعدها مذكورة في كتب النحو. مع ملاحظة أن الفاعل يمكن أن يتقدم على فعله ويمكن أن يتأخر عنه ويمكن أن يكون واحداً لفعلين مختلفين كقوله تعالى(**فجاءته إحداهما تمشي على استحياء**) (القصص:٢٥) فـ (إحداهما) فاعل للفعلين، تأخر عن الفعل (جاء) وتقدم على الفعل (تمشي).

الحركات على بناء (يفعل):

يأتي بناء (يفعل) في النظم بشكل عام : مرفوعاً ومنصوباً ومجزوماً، وأغلب الباحثين يوجهون نظرهم إلى الزمن فقط عند تعليل هذه الحركات، وبذلك لا نجد عندهم تفسيراً مقنعاً لبعض الحالات[1].

ولكي يلغى دور العامل في تفسير الظواهر اللغوية لابد من أن نوجه نظرنا إلى عدة أمور عند محاولة إيجاد تفسير لهذه الحركات على بناء (يفعل) والأمور التي أوجه النظر إليها هي:

١- وظيفة بناء (يفعل) في الجملة.

٢- الأسلوب الذي انتظم فيه بناء (يفعل).

٣- الزمن ، أي زمن الحدوث الملاحظ مع بناء (يفعل) في النظم.

٤- الحدوث في بناء (يفعل).

٥- إسناده إلى الضمائر.

وإذا نظرنا إلى هذه الأمور كلها عند محاولة إيجاد تفسير لاختلاف الحركات على بناء(يفعل) نجد أن الحركات على هذا البناء جاءت لأجل الإشارة إلى (الفروق)، فقد لاحظتُ ما يأتي:

١- عندما يأتي بناء (يفعل) ليؤدي وظيفة المسند الرئيس أو الأساس الذي تبنى عليه الجملة يكون مرفوعاً (مالم يهيمن عليه معنى من المعاني العامة كالنهي أو الشرط) نحو: يدرسُ محمد، وسيقرأ علي، وسوف يغادرُ زيد، فإذا جاء بناء(يفعل) ليؤدي وظيفة الفعل المعلّق بالفعل المسند الرئيس الذي بُنيت عليه الجملة وكان التعليق بوساطة الأداة، فإنه يكون منصوباً، وهذا فرق وظيفي يتبعه فرق في الحركة، ويمكن ملاحظة هذا الفرق من خلال الجمل الآتية:

١- يفوزُ أخوك.

٢- سرّني أن يفوزَ أخوك.

---

(1) ينظر، في النحو العربي نقد وتوجيه : ١٣٤.

٣- عجبتُ أن يفوزَ أخوك.
٤- أبذلُ جهدي كي يفوزَ أخوك.
٥- ضحيتُ ليفوزَ أخوك.
٦- انتظرُ حتى يفوزَ أخوك.
٧- لا تتكاسل فيفوزَ أخوك.
٨- إذن يفوزَ أخوك ... جواباً لمن قال : أخي يفعل الخيرَ دائماً.

لنلاحظ بناء يفعل في الفعل (يفوز) فقط، ولنوجه نظرنا إلى وظيفته في الجمل السابقة، نجد أن هذا البناء (يفوز) جاء ليؤدي وظيفة المسند الرئيس أو الأساس الذي بُنيت عليه الجملة في المثال الأول فقط ، وجاء هذا البناء مرفوعاً، ولكنه-أي بناء يفعل (يفوز)- جاء منصوباً في الجمل الأُخرى كلها لأنه لم يأتِ مسنداً رئيساً تبنى عليه الجملة، وإنما جاء فعلاً متعلقاً بالمسند الرئيس ليؤدي معنى من المعاني، وتساعده على هذا التعلّيق أداة تباشره وتوصله بالمسند الرئيس. فالمسند الرئيس الذي بُنيت عليه الجملة رقم (٢) هو الفعل (سّرني) ، وجاءت (أنْ) أداة وصل وتعليق، توصل المسند الرئيس بالفعل الثاني في الجملة نفسها وهو(يفوز)، وتعلّق الفعل الثاني بالفعل الرئيس على معنى الفاعلية.

والمسند الرئيس الذي بُنيت عليه الجملة رقم (٣) هو الفعل (عجبتُ)، وجاءت(أنْ) أداة وصل وتعليق، توصل المسند الرئيس بالفعل الثاني وهو(يفوز) وتعلّق الفعل الثاني بالمسند الأساس أو الرئيس على معنى المفعولية.

والمسند الرئيس في الجملة رقم (٤) هو الفعل (أبذلُ)، ولاحظ أنه جاء مرفوعاً لأنه المسند الذي بُنيت عليه الجملة، أما(يفوزَ) فهو فعل معلق بالمسند الرئيس على معنى التعليل وقد أدت الأداة كي وظيفتها في هذا التعليق ولهذا المعنى، وكذلك الأمثلة الأخرى، فلم يأتِ فيها بناء (يفعل) منصوباً إلا لأنه فعل معلق بالفعل الرئيس الذي بنيت عليه الجملة، وهو معلق على معنى من المعاني تدل عليه الأداة التي جاءت لغرض التعليق وإفادة المعنى الذي وضعت له.

لذلك ربما نستطيع أن نقول: إن بناء(يفعل) عندما يأتي ليؤدي وظيفة الفعل المتعلّق بالفعل الرئيس وكان التعليق بواسطة الأداة يكون منصوباً ويكون مرفوعاً إذا جاء ليؤدي وظيفة المسند الرئيس ما لم يطرأ عليه طارئ من المعاني العامة.

ولا يمكن أن يكون النصب في بناء (يفعل) دليلاً على الزمن المستقبل، في نحو: سرني أن يمرحَ أخوك، وعجبت أن يتكاسل أخوك، لأن الزمن دلّ عليه الفعل الرئيس وهو الزمن الماضي في الفعل (سرني) وفي الفعل (عجبت)، وصار الزمن الذي يدل عليه النظم هو الزمن الماضي، ولهذا لم يأتِ بناء (يفعل) في الفعل (يمرح) لأجل الدلالة على الزمن الحاضر، وإنما جاء لأجل دلالته على الحدث والحدوث والمزاولة والتجدد والتفصيل في الحدوث، تلك الدلالات المهمة التي تحدثنا عنها في بناء(يفعل)، أما الاتجاه الزمني فقد تكفل به النظم ودلّ عليه الفعل الرئيس في الجملة.

٢- الحركة في بناء (يفعل) في أسلوب النفي إشارة إلى الفروق الزمنية في نفي حدوث الحدث. فالضمة على بناء يفعل المنفي إشارة إلى نفي حدوث الحدث في الزمن الحاضر والمستمر نحو: ما يسافرُ زيد،ولا يسافرُ زيد. والفتحة إشارة إلى نفي حدوث الحدث في المستقبل، نحو: لن يسافرَ زيد، والسكون (انعدام الحركة) إشارة إلى نفي حدوث الحدث في الماضي، نحو: لم يسافر زيد، ولمّا يسافرْ زيد.

٣- السكون (حالة انعدام الحركة) على بناء (يفعل) في أسلوب الأمر، نحو: (لتفعلْ)، وفي أسلوب النهي، نحو: (لا تفعلْ)، وفي النفي بـ (لم) و (لمّا)، نحو: (لم يفعلْ) و (لمّا يفعلْ)، وفي أسلوب الشرط، نحو: (إن تفعلْ أفعلْ) لأن جميعها تشترك في أن حدوث حدث الأفعال (**غير متحقق**)، فقولك: ليسافرْ زيد، أمر بإحداث حدث السفر، فحدوث السفر غير متحقق، وقولك: لا تسافرْ، نهي عن إحداث حدث السفر، فحدوث السفر غير متحقق أيضاً وقولك: لم يسافرْ زيد، أو لمّا يسافرْ زيد، نفي لحدوث الحدث في الماضي أو الماضي المتصل بالحاضر، وهذا يعني أن حدوث حدث السفر مفروغ من عدم تحققه، ومؤكد عدم تحققه، وقولك: إن تسافرْ يسافرْ

زيد، تعليق حدوث الحدث الثاني على حدوث الحدث الأول، فكلا الحدثين غير متحقق حدوثهما، فهما حدثان محتملان، معلق حدوث أحدهما على حدوث الآخر، فحدوث الأحداث في الأفعال السابقة كلها (**غير متحقق**)، وهي تختلف عن حالة الحدوث المتحقق في قولك: يسافرُ زيد.

٤- الفتحة على بناء (يفعل) المتصل بنون التوكيد، نحو: ليقولَنَّ، لأجل الفرق بين إسناده للمفرد وإسناده للجماعة، نحو: ليقولُنّ حيث تضم اللام، وإسناده للمفردة أي للمؤنث، نحو: لتقولِنّ حيث تكسر اللام. وكلها حركات إعراب وليس ثمة حالة بناء فيما سمي بالفعل المضارع.وبذلك تكون الحركات عل بناء (يفعل) إشارة إلى الفروق فيما يأتي:

١- الفروق في الوظيفة.

٢- الفروق في الاتجاه الزمني.

٣- الفروق في الحدوث.

٤- الفروق في الإسناد عند الاتصال بنون التوكيد.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، دار المعرفة ، بيروت ١٩٨٧م.
- شرح الرضي على الكافية ، يوسف حسن عمر ، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي الطبعة الثانية ١٩٩٦ م .
- شرح المفصل ، موفق الدين ابن يعيش ، عالم الكتب ، بيروت .
- الفعل ، زمانه وأبنيته ، الدكتور إبراهيم السامرائي ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٧٠ م.
- في النحو العربي قواعد وتطبيق ، الدكتور مهدى المخزومي ، الطبعة الأولى، مصر ١٩٦٦م.

- في النحو العربي نقد وتوجيه ، الدكتور مهدى المخزومي ، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٦٣م.
- الكتاب ، سيبويه ، تحقيق عبدالسلام هارون ، مصر ١٩٧٣-١٩٧٧م.
- اللغة العربية معناها ومبناها ، الدكتور تمام حسان ، الطبعة الثانية ١٩٧٩م.
- المفصل في علم العربية، الزمخشرى ، الطبعة الثانية، دار الجيل ، بيروت.
- المقتضب ، أبو العباس محمد ابن يزيد المبرد ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب بيروت .